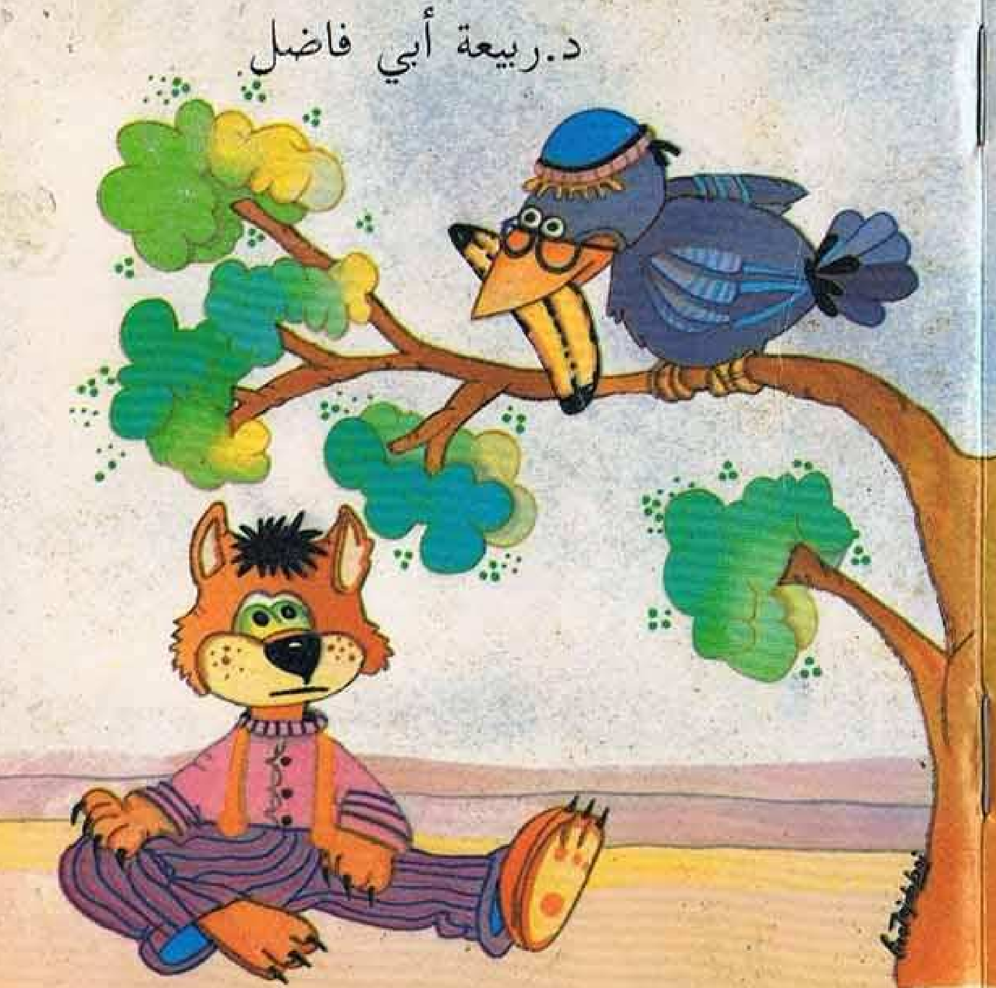
سِلْسِلَةُ: «حِكاياتٌ مِن جِبالِنا»

الثَعْلَبُ وَالغُرابُ

د. ربيعة أبي فاضل



مكتبة سمير

ظهر منها حتّى الآن :

- الثعالب
- الثعلب والغراب
- دجاجات أمّ يوسف
- ديك أمّ مسعود

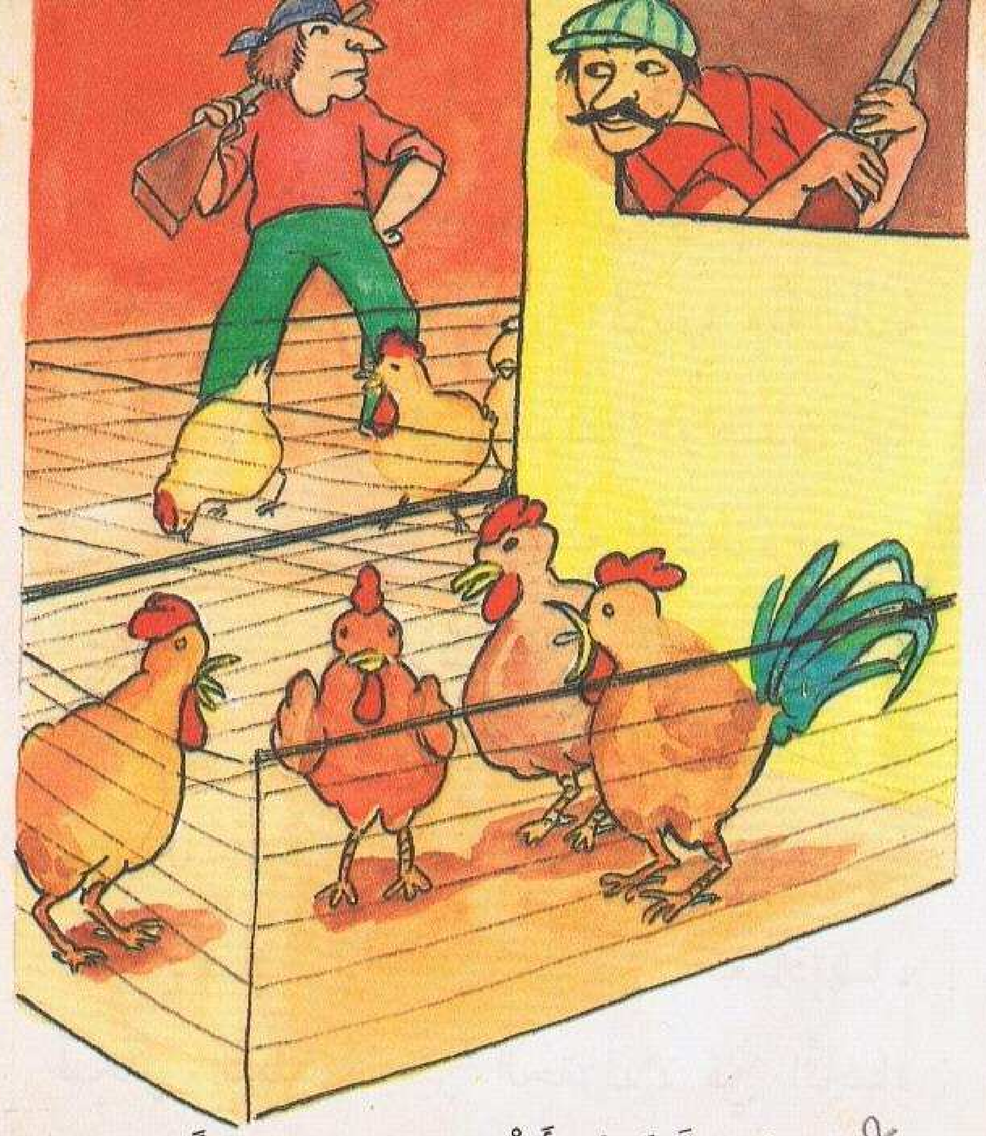
سِلْسِلَةُ: «حِكاياتٌ مِن جِبالِنا»

الثَعْلَبُ والغُراب

د. ربيعة أبي فاضل

مكتبة سمير

الغلاف: لينا مجدلاني
الرّسوم: دوللي شمّاس
صفّ وتنضيد الحروف: دار الفجر للطباعة
تصميم الصفحات: ح. نصرالله



حاولَ الثَّعلَبُ أنْ يَصيدَ مزيدًا من الفِراخِ فَلَمْ يَفلَحْ. وتَنَبَّهتِ القَريَةُ إلى حيَلِهِ، فَحرَستْ دَجاجَها وفَتَّحتْ عُيونَها

وسَهِرَتْ مُنْتَظِرَةً قُدُومَهُ. وأبو الوثّابِ لا يَتوبُ وَلا يَنْكَسِرُ، فَقَدْ أَوهَمَ غُرابًا مِسْكينًا، حطَّ على غُصْنٍ قَريبٍ مِنْهُ بأَنَّهُ مَريضٌ وَيَحتاجُ إلى عَوْنِهِ. وحدَّق به الغُراب، فوجَدَ عَينيه الكَبيرتينِ المُستَطيلَتَينِ تُراوِغانِ وَتَتَحرَّكانِ كالبَرْقِ، فَجَمَعَ جِسْمَهُ الصَّغيرَ القَدِّ وَطارَ باحثًا عَنِ الثِّمار اليانِعةِ.

ووَدَّعَتِ الشَّمسُ الأَرضَ كَعادَتِها، فَتَخلَّلَ الثَّعْلَبُ عَبْرَ الحُقولِ، في اتِّجاهِ القَريةِ. وقَرَّر أَلّا يَعودَ فارغَ البَطنِ مَهما تَكُنِ الصُّعوباتُ. تَقَدَّم مُهتَدِيًا بِبَعْضِ الأَنوارِ، يَسيرُ وَراءَه ذَنَبُهُ الطَّويلُ. كانَ

البَيْتُ الأَوَّلُ بَيتَ شاكرٍ المَعْروفِ بِحُبِّهِ للطَّير وَبِتَكْرارِهِ المثلَ: «قِلَّةُ الطَّيرِ مِنْ قِلَّةِ الخَيرِ». وأَطلقَ شاكِرٌ النَّارَ عَلى أَبي الحُصَينِ فأَصابَهُ في قَوائمِهِ القصيرةِ ذاتِ الأَطرافِ السُّودِ. وتَظاهَرَ الثَّعلبُ بأَنَّهُ لم يُصَبْ، وَتَراجعَ مُحتميًا بِثيابِ اللَّيلِ. وسَمِعَ وَهْوَ عائدٌ غُرابًا يَنْعَبُ، فَتَشاءَمَ وَبَكى وَنامَ لَيلتَهُ خائبًا.

وقبلَ الفَجر باكَرَ الغُرابُ الثَّعلبَ وناداهُ من بَعيدٍ: تَدَّعي بأَنَّك حَذِرٌ وَذَكيٌّ، أَلَم تُعلِّمْكَ تَجارِبُكَ أَنّ القَناعةَ كَنزٌ؟ وشَعَرَ الثَّعلبُ كَأَنَّ صَدرَهُ قَدِ انْفَجرَ.

وعَضَّ على جُرْحِهِ وَطَلَبَ مِنَ الغُرابِ
عُنقودَ عِنَبٍ أو موزةً ناضِجةً، فأَسْرَعَ

الغُرابُ إلى الكَرْمِ فحَمَلَ عُنْقودَيْنِ أَكَلَهما
الثَّعْلَبُ، ثم أَسقَطَ مِنْ مِنقارِهِ مَوزةً كبيرةً
هَلَّلَ لها قلبُ الثَّعلَبِ.

وقالَ لَهُ الثَّعلبُ: «نَحْنُ منذُ اليوم، صَديقان وَفيّانِ مُتَعاوِنان. ساعِدْني في مَرَضي أُساعِدْك في كلِّ حَياتِك». ظَلَّ الغُرابُ صامِتًا. وابتسمَ وطارَ ينشرُ صياحَهُ في وَجْهِ النَّهار.

ونامَ الثَّعلبُ فَوقَ جِراحِه يَحلُمُ بالطَّيرِ والثَّعابينِ والحَشراتِ والثِّمارِ. وَلَمْ يَتشاءَمْ على رُغْمِ حُضورِ الغُراب. ومرَّتْ جَماعةٌ مِنَ العُقبان، في الفَضاءِ، فَلَمْ يَستمكنْ مِنَ الاستِلقاءِ لِيَحتالَ ويَصيدَ، كعادتِهِ، عُقابًا.

كادَ يَختَنِقُ وَهْوَ مُسَمَّرٌ في مَكانِهِ.

وَأَتاهُ الغُرابُ باكِرًا، فَدَعاهُ الثَّعلبُ إلى زِيارتِهِ. ونَزَلَ الغُرابُ وَحَطَّ على صخرةٍ قريبَةٍ، وقالَ: «إيّاكَ أَنْ تَلْمُسَ ريشي أو تذوقَ لَحمي. لَحمي مُرٌّ لا يُغنيكَ ولا يُبقيكَ». أَجابَه الثَّعلبُ: «كيفَ آكُلُكَ وَأَنْتَ تَخدُمُني وتَطيرُ المسافاتِ الطَّويلةَ لِتأتيَني بِطَعام؟»

وتابعَ الغُرابُ: «لا تَعلمُ يا أَخي مَتى تَأْتي سَاعةُ الشَّرِّ. لا تَكُنْ حَجودًا. لَقَدْ رَأَيتُكَ مَريضًا جائعًا، وَشاهدْتُ القَرْيَةَ بِأُمِّها وَأَبيها تَتَعاونُ على قَتْلِكَ، فَغَلَبَتْني رُوحُ الشَّفَقَةِ وَجِئتُ مادًّا يَدَ المُساعَدَةِ».

- لَمْ أَرَ عاطفةً كعاطِفَتِكَ يا صَديقي الغُراب. وعلى عَكْسِ كلِّ النّاسِ لَم أَشعرْ بالغُربَةِ مَعَكَ. سأَخدمُكَ كما خَدَمْتَني. أَلا تأتيني اليومَ بِثُعْبانٍ أو بأَيِّ حَيوانٍ سَمينٍ ؟

- وكَيْفَ أَحْمِلُ ثُعبانًا أَنا الطّائِرُ الصَّغير؟

- إذْهَبْ إلى جماعةِ الغربانِ وٱطلُبْ مِنْها أَنْ تعاوِنَكَ على حَمْلِ ثُعبانٍ بِمَخالِبِها. إِنَّها ستَفْعَلُ يا صديقي!

وحَمَلَ الغُرابُ إلى أَخيه الثَّعلَبِ ثُعبانًا، فَأَكَلَ واطمأَنَّ وصارَ يَخافُ أَنْ يَرحل عَنْهُ صَديقُه الوفيُّ. وسأَلَهُ أَنْ يَنتقلَ مِنْ على الصَّخرَةِ إلى وِجارِهِ، فاقتربَ الغُرابُ، فَلَمْ يُؤْذِهِ الثَّعْلَبُ بَلِ ٱستَندَ إِلَيْهِ لِيَمْشِيَ قليلًا.

وَانْقَضَتِ الأَيّامُ والغُرابُ يَزورُ أَخاهُ الثَّعلبَ حتّى عادَ الثَّعلبُ مُعافًى يَقْفِزُ قَفْزًا في الأَحراجِ والهِضابِ والبَراري والسُّهولِ القَريبةِ مِن المُرتَفَعاتِ والجِبال. وجاءَ الغُرابُ، يَومًا، عَبْرَ الصُّخورِ الوَعْرَةِ، فَلَمْ يَجدِ الثَّعْلَبَ. وظَنَّ بأَنَّ سُوءًا ما حَصَلَ لَهُ، فَبَكى وَروى الأَرضَ بِدُموعِهِ.

★ ★ ★

في اليومِ التّالي، مَرَّ شاكرٌ مِن هُناكَ لِيَقطعَ الحطبَ للشِّتاءِ، فَرأَى على الدَّربِ عِظامَ وَريشَ غرابٍ. إبتسمَ، هَزَّ رأْسَه، وَمَشى!

الكَلْبُ وَالثَّعْلَبان

كانَ عِنْدَ العَمِّ سَليمٍ بَقَرَتانِ يَرْعاهُما
في الحُرْجِ القَريبِ مِنْ بَيتِه وَيَعودُ مَساءً
لِيَشْرَبَ الحَليبَ الطّازَجَ مَعَ عائلتِهِ
وَبَعْضِ أَبْناءِ الحَيِّ. وَبَيْتُ العَمِّ مُشْرِفٌ
على وادٍ فيهِ الصَّنَوبَرُ والسِّنْديانُ ونَهْرٌ
يُرافِقُ الزَّمانَ. ويَقُصُّ هٰذا الوادي على
أَهْلِ القَريةِ أَحْسَنَ القصَصِ عَنِ
العَصافيرِ والثَّعالِبِ والفَلّاحينَ والغِلالِ.

ومِنْ عادَةِ العمِّ سَليمٍ أَنْ يُغنّيَ في
الأَحراجِ ، يُؤْنِسُهُ صَوتُهُ الجَميلُ وَيُذكِّرُهُ
بأَبيهِ ذي الصَّوتِ الرَّنّانِ. وَقَدْ كانَ لِأَبيهِ
شارِبانِ يُحلِّقانِ كعُقابَيْنِ وَعَيْنانِ تُضيئانِ
كَكَوكَبَيْنِ. والعَمُّ سَليمٌ أَوَّلُ مَنْ يَستَيقِظُ
في قَرْيَتِهِ. فَقَبْلَ أَنْ يَتَفجَّرَ الصُّبحُ تَسْمَعُ
الأَشجارُ نَحْنحَتَهُ، وتُحرِّكُ أَغْصانَها
ويَتَثاءَبُ الزَّهرُ حَولَ بَيتِهِ. ويَنطَلِقُ
بَحماسٍ يَسوقُ بَقَرَتَيْهِ مُصَلِّيًا صامِتًا.
ويَسيرُ بِقُرْبِهِ كَلْبُهُ راكسُ الَّذي لا يَهابُ
الذِّئابَ ولا يَحسُبُ لِلمَوتِ أيَّ حِسابٍ.
في صَباحِ يَومٍ مِنْ أَيْلولَ ٱفتقَدَ العَمُّ
الكَلْبَ في البَيْدَرِ حيْثُ يَستريحُ عادةً



مُتوقِّعًا صَيْدًا سمينًا، فلم يَجِدْهُ. إلتَفَتَ إلى البَقَرَتَيْنِ فَرآهُما تَرْعَيانِ بِغِبْطَةٍ وَأَمانٍ. وتَساءَل: هَلْ يَتْرُكُهُما لِيَبْحَثَ عَنْ راكس؟ وشَبَّكَ أصابِعَهُ وَنَفَخَ مِنْ شَفَتَيْهِ عَلَّ راكس يَعودُ بالصَّفير؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَعُدْ.

ورفَعَ العَمُّ يَدَهُ اليُمنى إلى جَبْهَتِهِ وَراحَ يَحِفُّ أَصابِعَهُ على ما تَبَقَّى مِنْ شَعْرٍ في رَأْسِهِ، وَعَلى خُطوطِ جَبْهَتِهِ وَعَيْنَيْه. وسَمِعَ وَهْوَ في هذِهِ الحالِ عَوّةً وضَوّةً، أي أَصواتًا وَجَلَبَةً، مِنْ بَعيدٍ، ثُمَّ تَكرَّرَ العُواءُ. وتَقَدَّمَ العَمُّ سَليمٌ بِهُدوءٍ



نَحْوَ الضَّجّةِ، فرأى كَلْبَهُ يَرْكُضُ وَراءَ ثَعْلَبٍ. وَعِنْدَما اقْتَرَبَ أَكْثَرَ لَحَظَ أَنَّ ثَعْلَبًا آخَرَ كانَ يَختبِئُ تَحْتَ جُبِّ سِنْدِيانٍ، وَكُلَّما تَعِبَ أَخوه الثَّعلبُ حلَّ محلَّهُ في الرَّكْضِ. وهكذا ظَلَّ الكَلْبُ يَرْكُضُ باَسْتمرارٍ والثَّعْلَبانِ يَتَناوَبانِ الرَّكضَ أَمامَه حتّى تنفدَ قوَّتُهُ، فيَقَعَ مِن شِدَّةِ التَّعَبِ بَيْنَ قَبْضَتَيْهِما كما يَقَعُ غُرابٌ غَبِيٌّ.

وحَمَلَ العَمُّ سَليمٌ حَجَرَيْنِ كَبيرَيْنِ وَاَرْتَقى صَخْرَةً. وَبَيْنَما كانَ الكَلْبُ يَلْهَثُ لُهاثَ المُنازِعِ وَالثَّعْلَبُ يَرْكُضُ مُسْرِعًا أَمامَهُ، رَمى العَمُّ الحَجَرَ، فأَصابَ

الثَّعْلَبَ المُسْتَريحَ. وقامَتْ قِيامَةُ الثَّعْلَبَيْنِ. وتَوقَّفَ الكَلْبُ عَنِ الرَّكْضِ واَسْتَلْقى على الأَرْضِ. وما إنِ اَقْتَرَبَ أَحَدُ الثَّعْلَبَينِ مِنْهُ حتّى رَماهُ العَمُّ بِحَجَرِهِ فأَصاب رأْسَهُ، فَوَعْوَعَ المِسْكينُ وَعْوَعَةً ردَّدَها الوادي، وغَضِبَ... وَراحَ يركُضُ كالمَجنونِ ناطِحًا صَخْرَةً كبيرةً... وظَلَّ يَنْطَحُها حتّى تسرَّبَ الدَّمُ مِنْ رأْسِهِ. فاَقْتَرَبَ مِنْهُ راكسُ، وَهْوَ يُحَدِّقُ بصاحِبِهِ العَمِّ سَليمٍ، كأَنَّه يشكُرُهُ على حُضورِهِ ويَعِدُهُ بِمَزيدٍ مِنَ الوَفاءِ. أَمّا الثَّعْلَبُ الآخرُ، فَطارَ كالرِّيحِ تارِكًا أَخاهُ يُواجِهُ مَصيرَهُ وَحْدَهُ.

وَوَضَعَ العَمُّ يَدَهُ على رأْسِ راكس وَطَمأَنَهُ بِكَلماتٍ فيها عَطْفٌ ولُطْفٌ.

وَظَلَّ راكسُ صامتًا يُخرِجُ لِسانَهُ مِنَ التَّنَفُّسِ الشَّديدِ والعَطَشِ والإعْياءِ.

وعِنْدَما استعادَ نَفَسَهُ عادَ مَعَ العَمِّ إلى بَيْتِهِ يَنْبَحُ كَعادَتِهِ ويَفتخِرُ بِأَنَّهُ حارسٌ وَفيٌّ.



فـي اليَـومِ التّـالـي، رَأى الحَطّـابـونَ
على البَيْدَرِ ثَعْلَبًا يَدورُ حَولَ بَقايا عِظامٍ،
وفي عَيْنَيْهِ حُزنٌ كَبيرٌ!

★ ★ ★

سِلْسِلَةُ: «حِكاياتٌ مِن جِبالِنا»

الثَّعْلَبُ وَالغُرابُ

د. ربيعة أبي فاضل



مكتبة سمير